نقطة حبر

ليلة غنّت..غادة!

كتب جابر محمد الهاجري :

كان مساء الأربعاء الماضي جميلا.. راقياً.. عالياً، حيث أقلعت بنا الفنانة اللبنانية غادة شبير بصوتها الشجي الذي صاحبته أنغام التخت الشرقي.. رحلت بنا بعيدا عن واقعنا الرمادي.. إلى حيث الصفاء بصوت عذب وألحان شرقية، وكانت ليلة بيضاء صافية.. في جو فنٍ راق، بعيدا عن «الهشّك بشّك»، في مسرح الدسمة الذي غص بالجمهور صاحب الذوق الرفيع.

كنت برفقة صديقي الهارب من بيروت، أو العائد منها، ولم يدل. بصوته، ولهذا خسرت المعارضة في الانتخابات (جنوبي تايوان).. ليلة غنّت غادة بلدي المحبوب.. آه من المحبوب في بلدي!

و«آهين».. يا بهجة الدمع.. ويا خفيف الروح أين أنت؟.. وحبيب قلب.. لما بدا يتثنى.. ولم يعلم أنه بفراقه تطايرت الحروف.. يا حبيبي كلما هبّ الهوى.. ارتفعنا على ذكراك.. وتساءلنا عن حالك.. يا ترى بعد البعاد.. أما زلت على العهد باقياً.. أم باكياً؟!

في ليلة غنّت غادة.. سقط الخمار عن خيال تلك الملثمة التي بكت من ظلم الزمان.. قل للزمان ارجع يا زمان.. والله زمان.. اشتقت اليك فعلمني ألاّ أشتاق!

في ليلة غنت غادة.. كان بالجوار مقعد خالٍ.. يتمايل فيه خيالك.. طرباً!

يا سلام يا غادة.. سرقت.نا من أهالينا! صوتك عذب رقراق.. يشبه الحلم الجميل.. يشبه لقاء الحبيبة بعد طول فراق..! عزفت. على أوتار القلوب.. أعذب الألحان.. واستدعيت. فينا الذكريات.. وكان يا ما كان!

آه.. أفي ليل الشوق تبكي؟!

يا حبيبتي.. في ليلة غنّت فيها غادة.. كنت الوحيدة الغائبة الحاضرة..!

كان الحضور.. حضورك! وكان المسرح كله أنت... بأغانيه والصوت العذب أنت... وتلوح في أفق تلك الأمسية عيناك. وبراءتك... وسذاجتي!

وأيضاً اللقاء الأخير على البساط الأخضر.. وشبيهاتك. يتراكضن في الميدان.. بكل عنفوان.. ونسمات باردة.. عندما كتبت. لي: لا تسمح لأحد أن يأخذ الأولوية في حياتك! وبين السطور كنت. تقولين.. أنا الأولى والأخيرة.. إلى اللقاء.